

1. المحور السادس: تنظيم القرابة:

بناء على ما رأينا من تعدد أشكال الأسر وما يترتب عليه من الأشكال المختلفة في النسب، تختلف كذلك نظم قرابة الأشخاص بعضهم إلى بعض في المجتمعات المختلفة اختلافا كبيرا. ونظم القرابة على جانب كبير من الأهمية بالنسبة لحياة المجتمعات. فمن خلالها يتضح المركز الاجتماعي للأشخاص الذين يمتنون لبعضهم البعض بأنواع الصلات المختلفة، كما يترتب عليها تحديد العلاقات والواجبات والمميزات المتبادلة بين الأشخاص ذوي العلاقة.

وشكل الأسرة هو واحد من أهم العناصر في تحديد علاقات القرابة بين الأب والأبناء والأحفاد والأخوة والأخوات. وكذلك تنبع من خلال الزواج أشكال أخرى من القرابة التي تربط الزوج بأصهاره وأنسابه، وتربط الأبناء بأسرة الأب أو الأم أو بهما معا. ولهذا فإن هناك نوعين أساسيين من أنواع القرابة: **القرابة الدموية**، و**قرابة التصاهر**. والنوع الأول ينقسم إلى نوعين ثانويين هما: **القرابة الدموية المباشرة** وهي التي نجدها بين الأب والأم والأبناء والأحفاد، و**القرابة الدموية الجانبية** وهي التي نجدها في صيغة العم والعمة والخال والخالة وأبناء العمومة والخوالة. أما **القرابة التصاهرية** فتتحدد بناء على نمط الأسرة السائد ونوع مصطلحات القرابة السائدة.

1) مصطلحات القرابة.

مصطلحات القرابة متعددة، لأن المجتمعات تختلف كثيرا في بنائها الاجتماعي، ولكنها في مجموعها تنقسم إلى نوعين رئيسيين هما:

، وهي التي تصنف **Classificatoir** 1. مصطلحات القرابة **التصنيفية** أو **الطبقية**، المجموعة المحلية إلى طبقات عمر، وبذلك يصبح هناك طبقة الأجداد وطبقة الآباء وطبقة الأبناء وطبقة الأحفاد. وكل فرد في طبقة معينة يصبح أبا أو أبا أو جدا الخ...

وهي التي تصف العلاقة الحقيقية للقرابة **Discriptive** 2. مصطلحات القرابة **الوصفية** بحيث تصبح لكل شخص مصطلح معين، كالأب والعم والجد والأم والخال والخالة وابن الخال إلخ...¹

ولقد كان من الشائع بين الإثنولوجيين القدماء سهولة الفصل بين هذين النوعين، لكن الدراسات التفصيلية العديدة قد أوضحت أن هناك عدم وضوح المصطلحات عند بعض المجتمعات، وأخرى تستخدم النوعين معا، وثالثة تمثل مراحل مختلفة بين هذين النوعين. وما يدل على ذلك أن المجتمع التقليدي أو الريفي يطلق على العم مصطلح أب في الوقت الذي يعرف فيه هذا المجتمع نوع القرابة التي تصف العم تماما. وكذلك يطلق على الحمى (الحم) أب، والحمأة أم تجاوزا. ويطلق مصطلح خالة على كثيرات من السيدات من طبقة عمر الأم، بغض النظر عن وجود علاقة قرابة فعلية. وكثير من هذه الأمثلة من الاستخدامات غير المحددة لمصطلحات القرابة موجود عند أكثر المجتمعات التزاما بنظام القرابة الوصفية، كالمجتمع العربي والمجتمع الأوربي والغربي عامة.

¹ Voir, Georges Augustins, À quoi servent les terminologies de parenté?, L'HOMME, 154-155 | avril-septembre 2000 : Question de parenté, <http://lhomme.revues.org/32>, le : 12/01/2014.

وتقوم مصطلحات القرابة عند المجتمعات المختلفة على الأسس التالية:

1. مبدأ الأجيال:

الجد والجدة.

الوالدان وأخواتهم.

جيل الأنا والأخوة والأخوات.

الأبناء وأبناء العمومة والخؤولة الخ.

الأحفاد.

ويمكن حسب هذا المبدأ تطبيق النظامين الوصفي والطبقي في مصطلحات القرابة، فمثلا العم والخالة يصبحان أبا وأما.

2. مبدأ الجنس:

وهذا يتبع التفريق بين الأقارب حسب الجنس.

3. مبدأ المصاهرة:

وهذا يرتبط بالزواج وأنماطه. وأحيانا يصح التغاضي عن وصف قرابة بعض الأصهار فيقال عم لزوجة العم أو الخالة.

4. مبدأ خط النسب:

وهو يفصل ويوضح التسلسل القرابي المباشر أو الجانبي. مثال ذلك أن الجد والأب والابن تسلسل قرابي مباشر، بينما العم والخال والعممة والخالة وأبنائهم تسلسل قرابي جانبي. ويرتبط بهذا أيضا مبدأ التشعب لتمييز القرابة القريبة والبعيدة.

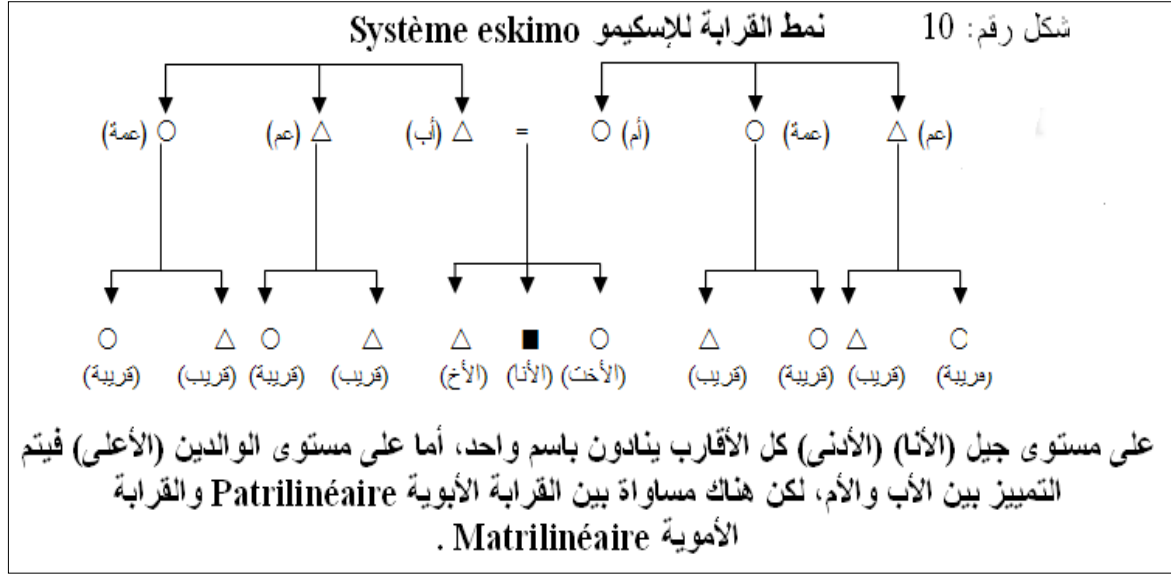
5. مبدأ التبادلية:

وبمقتضاه ينادي الشخص من جيل أعلى قريبه في جيل أدنى بنفس اللقب، مثال ذلك أن ينادى الجد حفيده بـ جد (و)، أو العم ابن أخيه بـ عم (و) الخ... وعلى عكس ذلك نجد أن مبدأ السن يراعي عند بعض المجتمعات للتمييز بين الأخ الأكبر والأصغر.

وإلى جانب هذه المبادئ هناك أيضا الاعتبارات الاجتماعية والحضارية الخاصة بكل جماعة لغوية في استخدامات ألفاظ القرابة الخاصة، ومن الأمثلة التي توضح ذلك ما نجده من مصطلحات القرابة الشائعة عند قبيلة الكوماتشي (من امريند أمريكا الشمالية) على النحو التالي:

1. العم يسمى (أب) والخالة تسمى (أم). وذلك مرتبط بنظام زواج أخ الزوج من زوجة أخيه ونظام زواج الزوج من أخت زوجته.





2. زوجة الأخ تسمى زوجة وأولاد الخ يسمون أبناء. وذلك مرتبط بنظام زواج زوجة الأخ في حالة وفاة الأخير.

3. عدل الزوج (زوج أخت الزوجة) يسمى (أخ) وليس عديلا، وكذلك تسمى السيدة زوج أختها باسم أخ. ويرتبط ذلك بنظام المتبادل. وفي هذه الحالات جميعا نجد مبدأ طبقة العمر يلعب دورا واضحا في إعطاء مصطلحات قرابة طبقية. وأخيرا فإن مصطلحات القرابة خاضعة للتغيرات الاجتماعية التي تطرأ على مجتمع ما، كأن يتغير نمط الزواج من النظام الرحمي المكان إلى العصبي المكان، أو تتغير الأسرة من أمومة إلى أبوية.

(2) أنماط القرابة.

بناء على الدراسات الكثيرة في هذا الموضوع أمكن استخلاص عدد من أنماط القرابة السائدة في العالم. وفي ما يلي موجز للأنماط الرئيسية للقرابة في العالم:

(أ) نمط الإسكيمو.

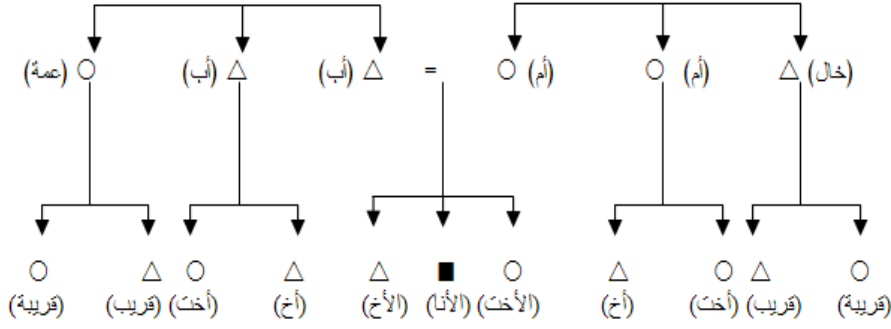
في هذا النمط لا تميز مصطلحات خاصة بين العم والخال والخالة والعمة، بل يطلق عليهم جميعا عم أو عمة، كما لا يوجد تمييز بين أبناء العمومة والخوولة وأبناء العمات والخالات، أي لا يوجد تمييز بين القرابة الكاملة (أبناء العم والخالة) والقرابة المتقاطعة (أبناء الخال والعمة)، ويسود هذا النمط عند المجتمعات ذات الأسر الأحادية الزوجة.

يظهر هذا النمط بين الإسكيمو وقبائل الرعاة والصيادين في شمال سيبيريا وأوروبا القطبية (اللاب)، كما يظهر لدى أقزام جزر أندمان، وأقزام السمانج في الملايو.

(ب) نمط هاواي.

في هذا النمط يطلق على كل الأقارب من جيل الوالدين أب وأم، وعلى أبنائهم وبناتهم إخوة، وعلى أحفادهم أبناء. وبعبارة أخرى فإن مبدأ طبقة العمر يلعب دوره في تحديد نوع القرابة. وينتشر هذا النمط في جزر بولينيزيا وبعض قبائل الفلبين وأمريندا السهول وأمريندا الساحل الشمالي الغربي لأمريكا الشمالية، ومجموعة شعوب الإنكا في أمريكا الجنوبية. وعموما ينتشر هذا النمط في عالم المحيط الهادي.

شكل رقم: 12 نمط القرابة (الإيروكويز) (Système Iroquois)

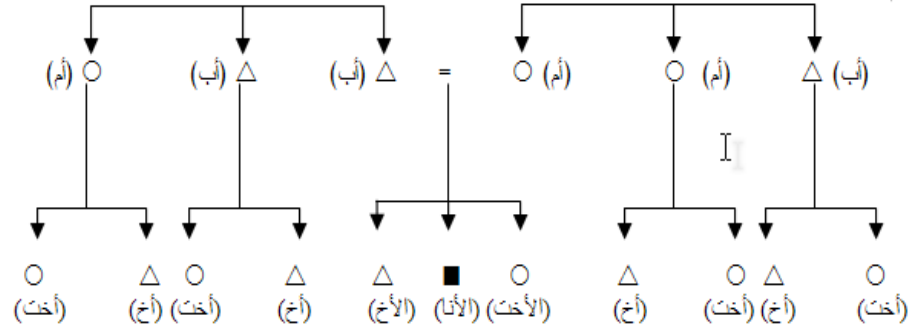


على مستوى جيل (الأنا) (الأدنى) كل أبناء العم والخالة هم إخوة (قرابة متوازية)، لكن أبناء الخال والعممة فلا يتم التمييز بينهم فهم يشكلون (قرابة متقاطعة)، أما على مستوى الوالدين (الأعلى) فلا يتم التمييز بين الأم والخالة، ولا بين الأب والعم.

ج) نمط الإيروكويز والداكوتا.

هنا مصطلح قرابي واحد لأبناء العممة والخال (قرابة متقاطعة)، أما أبناء العم والخالة فهم إخوة وأخوات. وعند الإيروكويز نجد مصطلحا واحدا للأم والخالة والعممة، ونجد في بعض العشائر مصطلحا واحدا للأم والخالة ومصطلحا آخر للعممة. أما عند الداكوتا فهناك مصطلحات

شكل رقم: 11 نمط القرابة (هاواي) (Système Hawaïen)



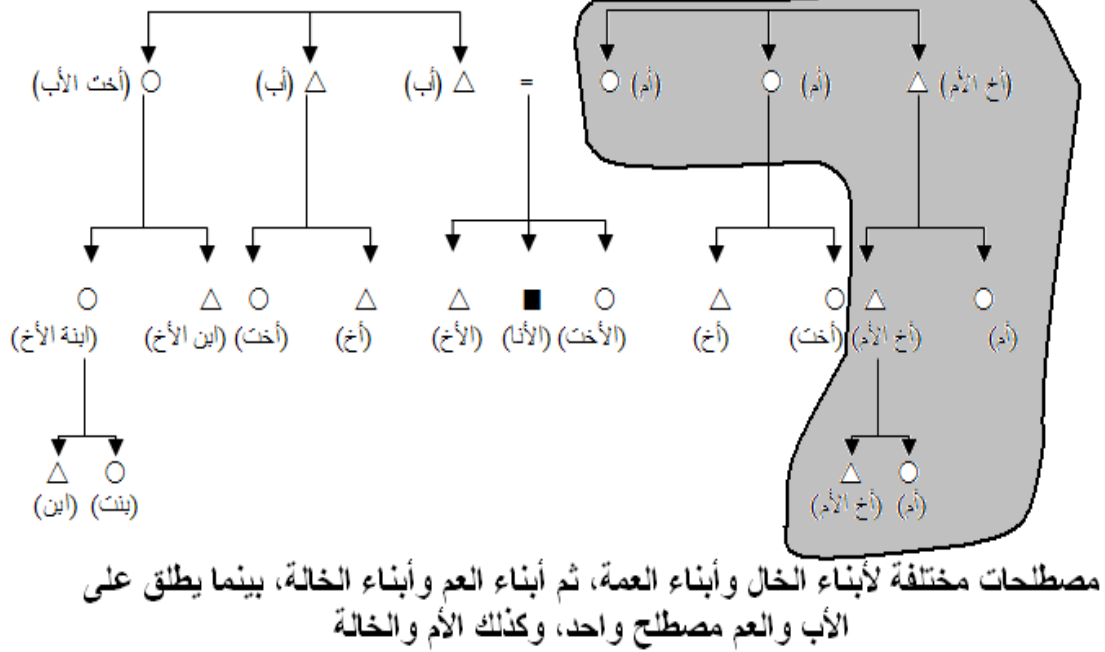
على مستوى جيل (الأنا) (الأدنى) كل البنات أخوات وكل الأبناء إخوة، أما على مستوى الوالدين (الأعلى) فلا يتم التمييز بين الأقارب من جيل الوالدين.

قرابية مختلفة لكل من الأم والخالة والعممة. وأسباب هذا الاختلاف راجعة إلى أن الإيروكويز يمارسون زواجا رحمي الإقامة، ويكونون أسرا أموية مركبة مع زواج أحادي ويلتزمون بالنسب الأموي. أما الداكوتا فيمارسون زواجا عصبي الإقامة، ويكونون أسرا أبوية مركبة مع نسب أبوي وزواج أحادي أو متعدد الزوجات.

وينتشر هذا النمط بين الإيروكويز والهورون من امريند الشمال الشرقي، ويظهر عند قبيلة مينانج كباو في سومطرة، وفي الملايو وجنوب غرب الهند (قبيلة تايار) وعدد من قبائل ميلانيزيا وأستراليا وإفريقيا. أما نمط الداكوتا فواسع الإنتشار في إفريقيا وأوشينيا وكثير من الأمريند.

شكل رقم: 13

نمط القرابية (كرو) Systeme Crow



(د) نمط كرو Crow .

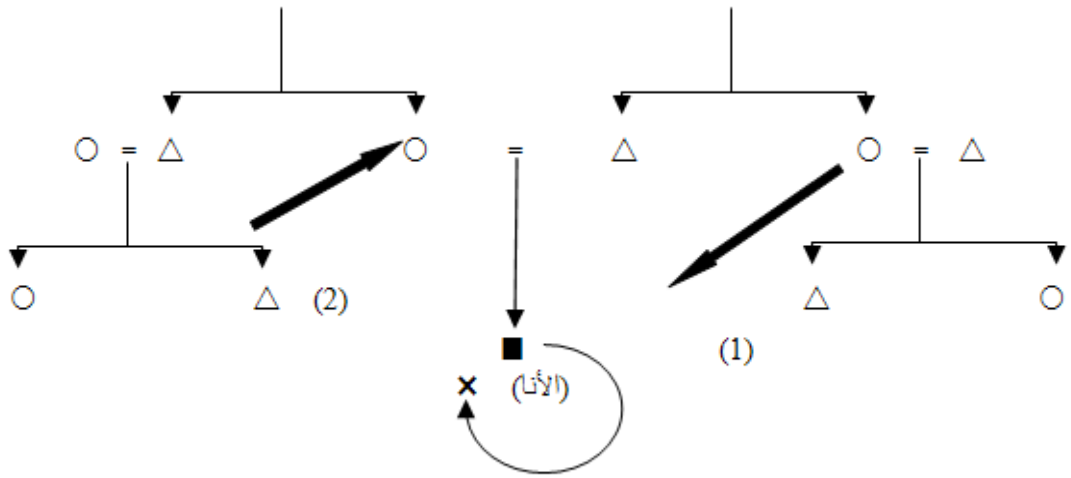
في هذا النمط نجد مصطلحات مختلفة لأبناء الخال وأبناء العممة، وكذلك مصطلحات مختلفة لأبناء العم وأبناء الخالة. وفي الوقت نفسه يطلق على الأب والعم مصطلح واحد، وكذلك على الم والخالة، بينما توجد مصطلحات خاصة لكل من الخال والعممة. ولا يعني مصطلح "أب" الأب والعم فقط بل يطلق أيضا على كل قريب للأب من جهة أمه مثلا ابن خالة أو خال الأب. وكذلك يعني مصطلح "الأم" كل سيدة متزوجة من أي قريب من أقارب الأب من جهة أمه- أي زوجة من يمكن أن يطلق عليه "أب". وهذا ناجم عن أن الكرو (أمريند السهول) ينتظمون اجتماعيا في عشائر أموية تمارس الإقامة الرحمية المكان مع الزواج الأحادي.

ويتميز نمط الكرو بأن هناك تصعيدا لبعض الأقارب من مرحلة عمر إلى مرحلة أعلى، ويقابل ذلك هبوطا ببعض الأقارب إلى مرحلة عمر أدنى. فعندهم بني العممة تسمى "عممة"، وابن العممة يسمى "أب"، بينما يطلق على الخال "أخ أكبر"، وتسمى زوجة الخال "زوجة"، وأبناء الخال "أبناء". فالعممة وأبناؤها يصعدون جيلا بأكمله، بينما يهبط الخال وأبناؤه جيلا إلى أدنى.

والهبوط بالخال ناجم عن الإحتمال القائم عند الكرو بإمكانية زواج الشخص من زوجة خاله في حالة وفاة الخال، أم تصعيد أبناء العممة فتفسيره مرتبط بمضاعفة البعد القرابي مع أقارب الأب من جهة شقيقاته، لأن الأب في هذه الحالة يصبح خالا لأبناء أخته وينطبق عليه مبدأ تهيب الخال إلى جيل أدنى.

وينتشر نمط الكرو القرابي بين أمريكي الجنوب الشرقي من أمريكا الشمالية، وبعض ، وبين أمريكي البيوبلو وبعض قبائل فنزويلا وشرق البرازيل وبعض قبائل Sioux عشائر قبائل السو ، مناطق إفريقيا.

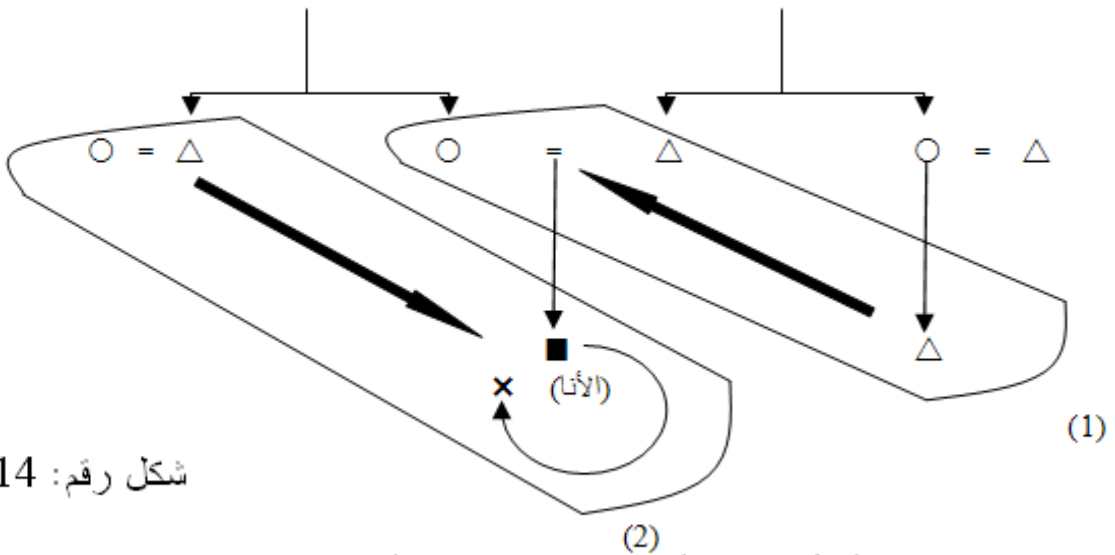
نمط القرابة عند الأوماها (عشائر أبوية)
مبدأ تصعيد وتهبيط بعض الأقارب إلى أجيال أخرى



- (1) تهبيط عمّة الأنا إلى جيل أدنى.
(2) تصعيد أبناء خال الأنا إلى جيل أعلى.

شكل رقم (15)

نمط القرابة عند الكرو (عشائر أموية)
مبدأ تهبيط وتصعيد بعض الأقارب إلى أجيال أخرى



شكل رقم: 14

- (1) ارتفاع ابن عمّة الأنا إلى جيل أعلى لاحتتمله تزوج زوجة خاله.
(2) تهبيط خال الأنا إلى أخ أكبر توقعاً لاحتتمل تزوج زوجته في حالة وفاته.